الدعوات المبكرة إلى توحيد المصطلح العلمي العربي من قبل الأفراد والجماعات

الدكتور / محمد علي الزركان(*)

لقد قيل "إن مشكلة توحيد المصطلح العلمي ليست مقصورة على العربية، فقد صادفتها لغات أخرى، وعالجتها على النحو الذي نسلكه. وإذا كانت مصطلحات بعض العلوم قد ثبتت فيها واستقرت، فهناك علوم أخرى، وخاصة الحديثة منها، ماتزال مصطلحاتها قلقة ومتعارضة.." (1).

وإن الدعوة إلى توحيد المصطلح العلمي وجدت منذ بداية اتساع العلوم والفنون وتعدد مصادرها في مطلع هذا القرن، فقد كثرت الترجمات العلمية من قبل أفراد متعددين وعن لغات مختلفة، وذلك دون ضوابط وقواعد ملزمة الأمر الذي أوجد اختلافات في تسمية مفردات المصطلحات التي تعود لمادة علمية أو فنية واحدة، في مؤسسة علمية واحدة في القطر الواحد، ناهيك عن الاختلافات الكبيرة بين قطر وقطر، مما أدى إلى البلبلة والتعددية في المصطلح العلمي العربي المقابل للمصطلح الأجنبي، حتى ليخيل إلى الباحث العربي أن اللغة العربية الواحدة قد صارت لغات، وأن المصطلح العلمي الواحد قد صار مصطلحات، ومازالت المشكلة قائمة.

وقد قام عدد من العلماء والباحثين منذ بداية هذا القرن بالدعوة إلى تدارك هذه الظاهرة الخطيرة عن طريق الدعوة إلى عقد الندوات والمؤتمرات العلمية التي يجتمع فيها أولو الأمر لتدارس هذه المشكلة وتبادل الآراء فيها للتوصل إلى وضع القواعد والشروط الخاصة في توحيد المصطلح. وسأستعرض هنا آراء بعض الأفراد في هذه المشكلة.

فكان مما كتبه المرحوم الدكتور محمد جميل الخاني الأستاذ في معهد الطب العربي بدمشق وعضو المجمع العلمي العربي داعيا الى توحيد المصطلح وحسن اختياره قوله:

"أتى على اصطلاحات العلوم والفنون لاسيما الطبية منها حين من الدهر وهي تتخبط في دياجي الإبهام... فاعتراها التشويش والتحريف واستولت

(*) كلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة حلب

سمي به، فانتشر الالتباس في الألفاظ، وسرت الفوضى في الأسماء، فأصبح كل يسمي الشيء بما تهواه نفسه مما أدى إلى توالي العقبات في سبيل التفاهم، وسد في وجوه مريدي العلوم أبواب السهولة والإقبال... حتى لا يكاد الإنسان ينتهي من قراءة صفحة إلا ويمر عليه من المصطلحات أنواع وألوان..." (2).

وكتب الدكتور محمد شرف صاحب المعجم المشهور في العلوم الطبية والطبيعية حول توحيد المصطلح العلمي العربي قائلا:

"وقد سار معربو هذا الزمن ومترجموه في نقل اللغات الفرنجية على طرق مختلفة، فابتدع هذا أسلوبا جرى عليه خالفه فيه غيره، واستن آخر سنة لم يشايعه عليها أحد وصار كل معرب يضع لنفسه منهاجا لتصور الألفاظ والمعاني أو لتعريبها، وانطلقت للأقلام وللألسنة الأعنة، ووضعت أوضاع وصيغت ألفاظ بطرق مختلفة لا تؤدي المقصود منها، وشط المعربون عن الصواب شططا بعيدا... وأكثر هؤلاء المعربين ممن درسوا بلغات فرنجية وابتعدوا عن العربية، فتجدهم يستعملون الألفاظ المبتذلة والسخيفة والكلمات العامية الركيكة ويتصرفون بالمعاني ويتناولونها بالزيادة أو النقص أو التشويه ويستعملون المجازات التي لا تتم بها المعاني المقصودة تماما لعدم وقوفهم على الألفاظ العربية المقابلة، أو لعدم وجود طريقة تتبع، أو معجم واف يستدعى للمعونة حتى صار أكثر المعربات لا يتفق في وحدة الاصطلاح او المدلولات" (3).

كما كتب الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الطبيب السوري والسياسي المعروف في هذا المعنى قائلا:

"إن توحيد المصطلحات العلمية في العالم العربي خطوة قيمة نحو توحيد الجبهة الأدبية والاجتماعية والسعي للتفاهم والاتفاق على أسماء المعلومات الحسية كالعلوم الطبية مثلا مقدم بطبيعة الحال على تلك الملاحظات والمعلومات المعنوية الطليقة التي لا ضابط لها بل هو توطئة لها، لأن المعاني تستمد روحها من الموجودات الحسية عادة. وما هذا الشوق إلى توحيد الجبهة العلمية إلا بادرة من بوادر السعي لنكون في العالم العربي على صعيد واحد معنى ومبنى" (4).

وكتب الدكتور داود الجلبي إلى الدكتور أمين المعلوف في مشكلة توحيد المصطلح العلمي قائلا:

"... أقول إني متفق معكم تمام الاتفاق في لزوم توحيد المصطلح، وفي العلاج الذي اقترحتموه لهذه الغاية وهو تكليف طبيب واحد من المشتغلين بالمصطلحات الطبية في كل من مصر والشام والعراق، بوضع مصطلح واحد لكل مرض وعرض مثلا. وبعد إتمام عملهم يجتمعون في إحدى العواصم يقابلون الألفاظ التي وضعها كل منهم، ويتفقون على مصطلح واحد منها وما لا يتفقون عليه يعرضونه على الأطباء للمناقشة على صفحات المجلات... ولا أرى من الصواب ترك هذا الأمر لغير الأطباء فما حك جلدك مثل ظفرك، ونحن أدرى بلساننا الفني... والاقتصار على مصطلح واحد مهم جدا" (5).

كما تناول المرحوم مصطفى الشهابي قضية

اختلاف المصطلحات العلمية بين أبناء العربية على مختلف أقطارهم وذلك في بحوثه ومقالاته في وقت مبكر.

"فكان أول من وضع القضية في إطار أوسع، فأرخ لكل المحاولات العربية الفردية والرسمية من سنة 1919 الى 1953" [6] فأوضح أسبابها، كما دعا إلى العمل على توحيدها مبينا السبل الواجب اتباعها في ذلك فقال: "لقد أصبح اختلاف المصطلحات العلمية داء من أدواء لغتنا الضادية. وهذا الداء ينمو ويستشري كلما اتسعت الثقافة في البلاد العربية، وكثر فيها نقلة العلوم الحديثة، وعدد المؤلفين في تلك العلوم، ولعل أهم سبب من أسباب اختلاف المصطلحات إنما هو فقد الاتصال بين النقلة والمؤلفين في مختلف اقطارنا العربية، ففي كل قطر توضع مصطلحات جديدة لا يدري علماء الأقطار الأخرى عنها شيئا. وتكاد الصلات تكون مقطوعة بين أساتذة الجامعات وكلياتها في مصر والعراق والشام. واذا اتهادوا مؤلفاتهم تعصب كل أستاذ للمصطلحات التي وضعها أو ألف استعمالها. وربما راح يزري بمصطلحات زملائه...

وبدأت الشعوب العربية تشعر قليلا بالحاجة إلى توحيد المصطلحات العلمية منذ انفصال الشام والعراق وجزيرة العرب عن الدولة العثمانية، عقب الحرب الكبرى الأولى (1914 ـ 1918) ففي ذلك الزمن اتخذ العراق وسورية اللغة العربية لغة رسمية للتدريس في مدارس الحكومتين بدلا من اللغة التركية... وأنشأ العراق مدارس عديدة في عهد الملك فيصل الأول واحتاج إلي الكثير من المعلمين فاستدعى معظمهم من الشام ومصر، وهناك بدأ احتكاك بعضهم ببعض وبدؤوا يشعرون جميعا باختلاف المصطلحات العلمية... وهكذا ولد هذا الاتصال شعورا بضرورة جعل المصطلحات العلمية واحدة في الكتب المدرسية... ثم إن هذا الشعور أصبح شعورا عاما في البلاد العربية، ولكن الآراء متضاربة في الوسائل التي يجب التوسل بها لبلوغ هذه الغاية.. ولابد قبل البحث عن وسائل توحيد المصطلحات من قول بأن وضع المصطلحات نفسه سيظل مدة طويلة من الزمن عملا من أعمال الأفراد لا من أعمال المجامع اللغوية والعلمية وحدها، ومتى كان الأمر على ما ذكرت، يكن من المحتم حصول اختلاف على الألفاظ العربية الدالة على معنى علمي واحد، لأن لكل عالِم رأيا خاصا في معالجة كل لفظة علمية أعجمية.. فذلك يحتاج إلى أداة حكيمة فعالة للترجيح يمكن الركون إلى رأيها، وتخضع الحكومات والافراد من العلماء والأساتيذ لحكمها.. فالغرض الذي ننشده هو عمل قومي كبير.." [7].

وكتب الدكتور جميل صليبا بضرورة توحيد المصطلحات العلمية العربية فقال: "ومن خصائص الترجمة في العصر الحديث اختلاف الاصطلاحات العلمية باختلاف المترجمين، وسبب ذلك أن ثقافات المترجمين متباينة، وعلمهم بأسرار العربية متفاوت، ومعارفهم بدقائق الموضوع العلمي غير متساوية. أضف إلى ذلك أن لكل قطر عربي اصطلاحات خاصة به لا يفهمها إلا علماؤه وأن للعلماء في القطر الواحد، أو في الجامعة الواحدة، اصطلاحات مختلفة لا يفهمها إلا تلاميذهم، وقد يترجم العالِم الواحد اصطلاحا علميا بلفظين مختلفين، أو يستعمل اللفظ الواحد للدلالة على معنيين متباينين.

فهذه الأسباب كلها جعلت الترجمة إلى اللغة العربية قليلة الضبط، وجعلت التفكير العربي مشوش المفاهيم. ولا يمكن علاج هذه الحالة إلا بتوحيد المصطلحات العلمية في جميع الاقطار العربية". [8]

أما الدعوات الجماعية إلى توحيد المصطلحات العلمية فإنها تعود إلى بدايات هذا القرن كذلك فقد قيل: إن كل من له صلة بالشؤون الطبية يعرف أن في مصر جمعية اسمها الجمعية الطبية المصرية تأسست عام 1919، وراحت تعقد مؤتمرات سنوية في مختلف البلاد العربية، يشترك فيها الأطباء العرب ويتداولون في شؤون مهنتهم. وقد أخذت هذه الجمعية على عاتقها في كل مؤتمر تعقده البحث في المصطلحات الطبية في اللغة العربية، وفي ضرورة توحيدها" [9].

وقد وافق مجلس الوزراء المصري على مذكرة لوزارة الخارجية قالت فيها أن الجمعية الطبية المصرية طرحت موضوع (توحيد المصطلحات الطبية في اللغة العربية) على مؤتمرها الأخير الذي عقدته في أوائل عام 1938 في بغداد، فأصدر قرارا اقترح فيه مقترحا فصلت الجمعية الطبية قواعده بما يلي:

أن تتصل الحكومة المصرية بحكومات الأقطار العربية في الشرق الأدنى للاتفاق على ما يأتي بصفة رسمية:

أولا: أن تؤلف كل منها في بلادها لجنة من الأطباء واللغويين للنظر في موضوع توحيد المصطلحات العربية للعلوم الطبية، أي اختيار أفضل تلك المصطلحات للاستعمال، ويراعى في اختيار هذه اللجان أن تمثل فيها الجمعيات الطبية المختلفة.

ثانيا: أن تنتدب كل من تلك الحكومات من أعضاء اللجان المشار إليها عضوين للاشتراك في لجنة دائمة تجتمع بالقاهرة شهرا في كل سنة لبحث تلك المصطلحات العربية المقترحة بواسطة اللجان المشار إليها أو الواردة في المعاجم الطبية العربية...

ثالثا: أن تكون قرارات اللجنة الدائمة المشار إليها معترفا بها للاتباع في جميع المعاهد التعليمية والطبية العربية في جميع معاهدها وبالتالي في جميع مؤلفاتها ومجلاتها، وعلى ألسن أطبائها. [10]

هذا وقد نصت المعاهدة الثقافية التي عقدت بين دول الجامعة العربية في القاهرة في شهر تشرين الثاني عام 1945 في الفقرة (هـ) من المادة (9) على:

"توحيد المصطلحات العلمية بواسطة المجامع والمؤتمرات واللجان المشتركة، وبالنشرات التي تنشرها هذه الهيئات والعمل على الوصول باللغة العربية إلى تأدية جميع أغراض التفكير والعلم الحديث، وجعلها لغة الدراسة في جميع المواد في كل مراحل التعليم في البلاد العربية".

"وفي الاجتماعات التي كان يعقدها مجلس جامعة الدول العربية ولجانه المختلفة، كان الشعور بضرورة توحيد المصطلحات الحكومية يزداد في اطراد...

وللإدارة الثقافية [11] لجامعة الدول العربية أيضا محاولات لحل هذه القضية المعقدة" [12].

"فقد عنيت بموضوع المصطلحات العلمية منذ مدة طويلة، فقد بحث هذا الموضوع في المؤتمر العلمي العربي الأول الذي عقد في الأسكندرية في صيف عام 1953، وأدلى كثير من المشتركين بآرائهم

فيه. وعلى الرغم من كثرة الآراء والمقترحات واختلاف وجهات النظر في هذه المشكلة، فقد تبين بوضوح اتجاه الرأي بصفة عامة فيها، إذ استقر على ضرورة توحيد المصطلحات في البلاد العربية جميعا، وأبديت آراء واقتراحات كثيرة عن تعريب المصطلحات وترجمتها وبحثها واستقامتها وما إلى ذلك.

كما تطرق المؤتمر العلمي العربي الثاني الذي عقد في القاهرة في صيف عام 1955 إلى بحث هذا الموضوع أيضا وتألفت فيه شعبة للمصطلحات درست توحيد الترجمة العربية لنحو عشرة آلاف مصطلح في أربع حلقات هي:

1 ـ حلقة العلوم الرياضية والطبيعية والفلك.

2 ـ حلقة علوم النبات والحيوان والصحة العامة.

3 ـ حلقة علوم الكيمياء والبيولوجيا.

4 ـ حلقة علوم المواد الاجتماعية.

وقد استجابت هيئة اليونسكو لرغبة لجنة إعداد المؤتمر إعداد المؤتمر الثاني، فدعت أحد الخبراء الأجانب في موضوع المصطلحات، وهو العالم الألماني (جمبلت) الذي حاضر المؤتمرين في هذا الموضوع.

كما تطرق المؤتمر العلمي العربي الثالث الذي انعقد في لبنان عام 1957 إلى توحيد عدد كبير من المصطلحات العلمية.

وفي المؤتمر العلمي العربي الخامس الذي انعقد في بغداد عام 1966 اتخذت توصية هامة بشأن توحيد المصطلحات وهي ضرورة وضع معجم علمي عربي موحد يعمم استعماله في البلاد العربية.

هذا وتهتم الادارة الثقافية بوجه خاص في توحيد المصطلحات العلمية المستعملة في مرحلتي التعلم الابتدائي والثانوي. أما المصطلحات العلمية العامة والمستعمل منها في التعليم الجامعي، فالادارة الثقافية ترى ان المجامع العلمية والجامعات أولى بالعناية بتوحيدها" [13].

الحواشي

1 ـ مدكور، ابراهيم/ مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما (القاهرة: المطابع الاميرية 1964) ص 58.

2 ـ الخاني، محمد جميل/ المصطلحات واللغة العلمية/ مجلة المجمع العلمي العربي مج 4/315.

3 ـ شرف، محمد/ اللغة العربية والمصطلحات العلمية/ مجلة المقتطف مج 74 ج2/127.

4 ـ الشهبندر. عبد الرحمن/ توحيد المصطلحات الطبية العربية/ مجاة المقتطف مج 76ج 5/518.

5 ـ الجلبي، داود/ الدعوة إلى توحيد المصطلح../ مجلة المقتطف مج 84 ج5/625.

6 ـ الحمزاوي، محمد رشاد/ العربية والحداثة... (بيروت دار الغرب الاسلامي 1986) ص 102.

7 ـ الشهابي، مصطفى/ المصطلحات العلمية في اللغة العربية (دمشق: المجمع العلمي العربي 1965) ص 128 ـ 143.

8 ـ صليبا، جميل/ الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام (القاهرة: معهد الدراسات العربية 1958) ص 72.

9 ـ الشهابي. مصطفى/ المرجع السابق نفسه/ 139.

10 ـ توحيد المصطلحات الطبية العربية/ مجلة المقتطف مج 95 ج2/ص 247.

11 ـ التي تحولت بعد ذلك إلى: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

12 ـ الشهابي. مصطفى/ المرجع السابق نفسه/ 139 ـ 141.

13 ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مج 32 ج1/ 98.